

ترجمة وتلخيص

ابراكن محمود

مكلف بالدروس بم.ع.ع. ١٠

■ تحظى صحيفة لومند الديبلوماسية (Le Monde Diplomatique) المتفرعة عن لومند اليومية بتقدير كبير من طرف البعض ويتقدير اقل من طرف البعض الاخر. غير انها اصبحت في غضون 32 سنة جريدة لا يمكن ان تضاهيها في مادة اعلام السياسة الخارجية أية صحيفة اخرى، انها اليوم بمثابة مؤسسة على المستوى الدولي. يمكن تفسير رؤية الجريدة ومنهجيتها استنادا الى التعريف الذي يعطيه مديرها : «لا يقتصر الامر على الاكتفاء بالنظر والسماع ولكن الالهم من ذلك يتمثل على وجه الخصوص في الاستماع قصد فهم (القضايا الدولية) بفضل مجهود متواضع وفكر ناقد هو دائما يقف ضد الالتماسات التي تشتت الجهد وتجرحه نحو التعجل في استقراء النتائج .»

في المقابلة التي حضى بها هشام بن يعيش المندوب عن MFI* شرح كلود جوليان، 61 سنة، مدير لومند الديبلوماسية منذ 13 سنة، حقيقة الجغرافية السياسية التحريرية للجريدة عارضا بذلك تحاليله حول عدد من مواضيع السياسة الدولية.

عن طموح الجريدة على مستوى الاخبار يرى كلود جوليان بأن يومية لومند قد خصصت بالمقارنة مع الجرائد الاخرى، مكانا اكبر للمشاكل الدولية لان، كما هو مسلم به، معظم المشاكل الداخلية لا يمكن حلها الا باعتبار السياق الدولي ككل. وهذه هي وجهة النظر التي كانت وراء صدور يومية لومند في 1944. وهو ما دفع كذلك باف ميري Beuve Mery مؤسس هذه اليومية، عام 1954، الى خلق شهرية متخصصة بغية تعميق اكثر للمشاكل الدولية الكبرى. لقد كانت في البداية موجهة الى الديبلوماسيين وموظفي المنظمات الدولية اي محترفي العلاقات الدولية. وبالفعل فقد تمكنت هذه الصحيفة من الوصول ليس فقط الى هذا الجمهور. فحسب ولكن الى جمهور اوسع بكثير جدا يهتم هو كذلك بدوره بهذه المسائل او يشارك عمليا في الحياة الدولية امثال ارباب العمل. واصحاب البنوك واساتذة القانون الدولي الخ...

ما هي الطريقة التي يراها لومند الديبلوماسية المشاكل الدولية باعتبار ان له منهجية جد خاصة به؟

* Média France Inter-continents - Radio France Internationale.

حسب كلود جوليان، اذا زرنا الولايات المتحدة فإننا نتعجب كثيرا من ان الصحافة الامريكية تخصص حيزا صغيرا لاروبا وخاصة فرنسا. ونلاحظ نفس الشيء بالنسبة لافريقيا وامريكا اللاتينية اذ ان الجرائد تخصص معظم صفحاتها للمشاكل الوطنية التي تعاني منها الارجنتين او نيجيريا او ساحل العاج وذلك حسب مكان نشرها. فيما يتعلق بساحل العاج فإنه يهتم كثيرا بمعرفة كيفية سير سوق البن والكافو، في حين ان الشيلي نجد ان الذي يهيم بالدرجة الاولى هو معرفة السوق العالمية للنحاس، اما بالنسبة للبلاد المنتجة للسكر وهي كثيرة مثل الفلبين والبرازيل وجمهورية الدومنيك فإن من الضروري لها كذلك معرفة كيفية سير الاسواق الدولية وفهم ميزان القوى على المستوى الدولي لان القرارات المتخذة في هذا الميدان (وهي غالبا ما يكون اتخاذها بصفة غريبة ومجهولة تماما عن الجمهور الواسع) يكون اكثر اهمية من القرارات التي اتخذتها السلطات الوطنية (الحكومات والادارات الكبرى) خصوصا وان هذه القرارات الاخيرة قد سبق تناولها من طرف وسائل الاتصال المختلفة. تتجلى هنا طريقة لاختفاء المشاكل الحقيقية. يقول كلود جوليان بأن «المشاكل الحقيقية لاي بلد كان هي اولا وقبل كل شيء مشاكل دولية». وبالفعل فإن المهم يكمن في التقلبات المالية الدولية، الظاهرة العالمية المتعلقة باستدانات بعض البلدان، موازين القوى الاستراتيجية ليس فقط على مستوى شرق/غرب ولكن كذلك على مستوى شمال/جنوب، تحويل التكنولوجيا الخ. تعني هذه الامثلة ان كل مشكل يقع اساسا على الصعيد الدولي وبالتالي فإن الشهرة الفرنسية تولي اهمية اكبر للملاحظة والتفكير وتحليل الظواهر الدولية مع محاولة ادراك انعكاساتها داخل هذا البلد او ذاك في مختلف القرارات. بالتأكيد تكون هذه المسائل نوعا ما ساذجة بل تقنية الا انها هي التي تقرر حتما عالم الغد.

وحول رؤية كلود جوليان داخل لومند الدبلوماسي التوبخية والمضايقة الى درجة انها لا تترك احدا لايبالي بحيث يمكن ان نتساءل فيما اذا كانت وراء «هذه القراءة التخريبية» اذا صح هذا التعبير، ارادة قوية رفض الى حد ما النظام القائم الذي يحكم العلاقات الدولية، كانت اجابته كما يلي :

«ان الذي يسمى بالنظام القائم ما هو في الحقيقة الا نظام شنيع قائم على الفوضى» (désordre établi) حتى تستعمل هنا تعبير ايمانويل موني (Emmanuel Monnier) ، قبل الحرب، وهو يتحدث عن الوضع السائد آنذاك في فرنسا. انه لا يوجد اثناء هذه الفترة الا برجوازيون وفئة ناتيس (Nantès) (1). والناس الميسورون الذين كانوا يصرحون بان «النظام القائم كان مهددا. في حين ان الاشخاص الفقراء كانوا يعتبرونه بأنه نظام شنيع قائم اساسا على الفوضى، وبالتالي فإن هؤلاء الاخيرين هم الذين كان لهم الحق.

ان ما يسمى «بالنظام القائم» على المستوى العالمي هو كذلك نظام شنيع قائم على الفوضى وفي حالة ما اذا ذكرنا خصائصه الرئيسية فإننا نجد في اول الامر النظام المالي المتدهور، منذ 1971، الذي انجرت عنه ظاهرة الاستدانة الفاضحة. لقد كان لومند الديبوماسي اول ما تنبأ

(1) - حسب الموسوعة فان هذا الاسم اطلق اثناء حكومة المديرين (شكل حكومي للجمهورية الفرنسية بعد فترة الجمعية التأسيسية) على فريق مشهور باختلاسهم اموال الدولة ومن بينهم نذكر المدير باراس. ويعني هذا الاسم في ايامنا فئة المالكين والتفيعين والانتهازيين.

بأنه في حالة ما اذ قدرت ديون العالم الثالث اثناء تلك الفترة بـ 800 مليار دولار - تقدر اليوم بـ 1000 مليار دولار - فن حصة الولايات المتحدة تبقى اعلى نسبة بثلاث او اربع مرات بحيث يمكن القراءة في هيرالد تريبيون ليوم 25 جوان 1986 ، هذا الخبر «تؤكد الحكومة الامريكية بأن دين الولايات المتحدة هو الان الاكبر في العالم» . ما هو السبب في هذا التأخر في سد الديون حتى نجد الحل المناسب لمشكل كان يبدو بسيطا للغاية عندما نرجع الى الوراء بست او ثماني سنوات؟ ان الفوضى تتجلى كذلك في الفروق القائمة الموجودة بين الشمال والجنوب : ان الديون هي اليوم مستفحلة بشكل كبير جدا . ان الكثير من بلدان العالم الثالث لا تستطيع ان تبقى زبائن للصناعات الغربية . وهكذا نشاهد جيدا بأن فقر العالم الثالث هو مكباح خطير للتوسع العام للانسانية .

وكنتيجة لكل هذه المشاكل (مشاكل الفقر والتفاوت وعدم التوازن) نلاحظ عدم استقرار العالم الذي يبرز من خلال النزاعات المحلية والجهوية التي اصبحت مع مرور الايام مكثفة وقاتلة اكثر فأكثر [. . .] ومن جهة اخرى فان السكان يجدون شروط حياتهم في تدهور بصفة درامية . هل يتوجب ذكر ملايين الاطفال الذين هم الآن متواجدون في الشوارع في البرازيل او في شوارع بوقوطة او على ارضة ماني؟ هذا ما يطلق عليه «بالنظام القائم» إننا نقول بأنه نظام شنيع قائم على الفوضى وهو خطير اذ يحمل معه ازمات يعاني منها الجميع . وهذا لا يمكن قبوله من وجهة نظر اخلاقية وكذلك من وجهة نظر تصوير الانسان في المجتمع .

وعن القاعدة السياسية او الايديولوجية التي يبنى عليها منهجيته بصدد المشاكل الدولية داخل لومند الديبلوماسية يلخص كلود جوليان اجابته في ضرورة الاحتفاظ بالاستقلال التام عن السياسة السائدة وممارسة ما يسميه بالكمال الابتدائي المتمثل في النقد وفي بعض الاحيان في عدم الاحترام كما شرح ذلك في كتاب له سبق نشره (1)

وعن مكانة افريقيا في لومند الديبلوماسية يلاحظ مدير الجريدة بأن التخلف ليس فقط اقتصاديا ولكن هناك ظاهرة الثقافة والحضارة «انه لا يمكن ان يتحقق التطور الاقتصادي مادامت هذه الظاهرة الثقافية بمعزل عن هذا التطور» . ومن جهة اخرى سجل كلود جوليان حاجة جريدته الى مساهمات المثقفين الافارقة في معالجة مشاكل افريقيا حتى لا يبقى ذلك حكرا على الاوروبيين فقط .

- وعن التناقضات التي يعيشها العالم العربي يرى مدير لومند الديبلوماسية بأن هناك من جهة دلائل تشاؤم تتمثل في كل القوى التي هي وراء التوتر داخل العالم العربي وكذلك التمزقات ذات الطابع الوطني او غيره ، ومن جهة اخرى دليل امل واحد ويتمثل في وجود ارادة في اوساط المثقفين العرب في عدم التخلي عن هويتهم التاريخية والثقافية التي تعبر عن اعتزازهم الوطني . . .

ماذا عن كيفية اشتغال لومند الديبلوماسية وما هي اختياراتها وخصوصا من هي الفرقة التي تنشطه؟ .

يجب مدير الجريدة بأن هذه الأخيرة مختلفة تماما عن كل وسائل الاتصال الكبرى بحيث انها «لا تتمتع بفرقة تحرير متكونة من عدة عشرات من الصحفيين كما هو الحال عند جميع الدوريات الصادرة في اوروبا وغيرها. منذ وقت طويل كنا هنا في الجريدة اثنين فقط من الصحفيين الدائمين : ميشلين يوني وشخصي انا. الا ان الان اصبح عددنا اكبر بعض الشيء : 6 اشخاص. اننا مثل العنكبوت في وسط نسيج خطوطه تشعب في العالم كله. يمكن تقدير عدد متعاونينا الفعليين تقريبا من 2500 الى 3000 اسم يتواجدون في الولايات المتحدة، كندا، امريكا اللاتينية، افريقيا، الشرق الاوسط اوربا، اسيا الخ... انهم اساتذة، باحثون، مهندسون، تقنيون، متخصصون في قضية من القضايا وهم يشتغلون في مراكز البحث ومخابر ومعاهد وجامعات. انهم لا يرتبطون بنا بواسطة اية اتفاقية ولكن فقط بفضل الصداقة».

وهكذا تستطيع الجريدة ان تحصل على سلة من اخبار من الصعب ان تحصل عليها شبكات الاذاعة والتلفزة او الصحف المكتوبة على الرغم من انها تتمتع بفرق تحرير مذهلة وميزانيات ضخمة. وبصدد الطريقة التي تسلكها الجريدة يقول كلود جوليان بأنها «طريقة ذكية. لقد رفضنا طرق المثقفين وكذلك ايضا معايير تصوير صناعة مؤسسة صحافية. بالعكس من هذا لقد خلقنا بكل ذكاء جهازا مرنا، خفيفا وفعالا. واذا سمحتم استعمال هذه النكتة فإن الفرقة الصحافية التي لها اليوم اكبر مبلغ من الفعالية في العالم (...). ان الزوار الامريكيين للجريدة يصابون كل مرة بالدهشة. انهم لا يستطيعون ان يتصوروا كيف اننا بفضل وسائل تقليدية استطعنا خلق جريدة هي ليست بالتقليدية لاننا اعتمدنا بكل ترو على الاستثمار اساسا في الحرب اللينة (Soft Ware) بدل الحرب الصلبة (Hard Ware)، كذلك في الذكاء والقدرة والموهبة واللامحافضة وعدم الاحترام» هذا وان القاريء لهذه الشهيرة بإمكانه ان يلمس ما يمكن ان نسميه بخط كلود جوليان. يمكن ارجاع هذا التوجيه الى كون سياسة الجريدة «هي مستقلة بالنظر الى سياسات الجرائد الغربية الاخرى وخاصة الأمريكية منها حتى ان البعض كان ينقد الجريدة بكونها معادية لأمريكا وانها لم يكن لها أمل ولم تثق في سياسة كسنجر في الشرق الاوسط. يرى اليوم كلود جوليان بأن المشاكل التي كانت تعاني منها هذه المنطقة مازالت دائما قائمة ليومنا هذا ومما زاد في الطين بلة فان هذه المشاكل هي اخطر بكثير في عام 1986 اذا ما قارناها بسنة 1973 لان اليوم يجب اضافة الى ذلك الملف انفجار وتهديم بلد بكامله الا وهو لبنان، يقول كلود جوليان بأن جريدته كانت تقول هذه الاشياء منذ زمن بعيد وحول «هذا النوع من التحليل فان العديد من الناس على مستوى جميع القارات قد وجدوا في الاخير بأن كل ما كنا نكتبه لم يكن سخيفا الامر الذي دفعهم للانضمام اليها. ان فشل السياسات الحكومية الرسمية هي التي فرضت هذا الاتجاه. وكان دوري يتمثل في تلخيص وتنسيق كل هذا. لقد اثرت قبل حين صورة نسيج العنكبوت وقلت بأن فرقتنا (فرقة التحرير) كانت في قلب هذه الفرقة التي هي بدورها في وسط هذا النسيج. اما انا فاني في قلب هذه الفرقة التي هي بدورها في وسط النسيج العنكبوتي».

كما هو معروف فإن الصحيفة الباريسية تعطي دائما قائمة بأسماء المراجع واحلات الى الهامش للتذكير بالمصادر فما هو السر في ذلك؟

يجيب المدير بأن العمل في جريدته هو مختلف تماما عما يجري في الصحف الاخرى لان في كل عدد يتوجب على الصحافي ان ينتج مقالا يحمل اسمه حتى يبين ان الراتب الذي يتقاضاه هو راتب مستحق فعلا. اما العمل في الشهرية الديبلوماسية فيعتمد على اقلام متعاونين كثيرين من كل انحاء العالم، لهم الحاجة الى التعبير عما يعرفونه منذ سنوات.

وفيما يتعلق بطول المقالات فانه على خلال الصحف المذكورة التي تعتمد على مقالات قصيرة بدعوى ان القراء يشسوا من المقالات الطويلة وتعبوا منها ولم يعد لهم الوقت نجد لومند اليلوماسي يعتمد على المقالات الطويلة حتى يتم استقطاب كل القراء المهتمين الذين لا يكتفون بالمقالات القصيرة. وبطبيعة الحال تستدعي هذه المقالات مراجع حتى يستفيد منها قراء مختلف المشاكل المستفيضة المعالجة.

وعن السبق الصحفي (Scoop) يقول كلود جوليان ما يلي : « ان البحث عن السبق الصحفي هو عملية بحث عن النبأ تقريبا كل يوم او كل اسبوع. بيدي ان الظواهر الهامة التي نعيشها تولد ثم تبدأ في النضج مستغرقة شهورا عديدة بل سنوات. وبالتالي فان السبق الصحفي يمكن له ان يثير بعض الاهتمام على المستوى المحلي ولكن على مستوى التغيرات الكبرى التي تشهدها المعمورة لا يملك الدلالة الكبرى. اذن فان السبق الصحفي هو نوع من الكاريكاتور لما يسمى بالحالية (Actualité) ؛ وان النبأ الحقيقي هو الذي يقع على مستوى نمو هذه الحالية لانه من الضروري فهم الاصل والمسار والنهاية. وهنا يكون السبق الصحفي مجرد زخرفة اصطناعية : انه يشبه المؤثر الذي يحدثه الممثل في مشهد من قطعة مسرحية ولكنه ليس البتة جوهر هذه القطعة ».

من كل هذا يمكن لنا ان نستوعب في الاخير فلسفة كلود جوليان التي تلخص في ان الاعلام كعرض (information-spectacle) يقضي على فن طرح الاسئلة ».

نستخلص من مضمون هذه المقابلة وجود ارادة قوية في الاستقلال لدى هذه الشخصية الاعلامية فهل هو ذلك المهاجم للمعتقدات او المؤسسات التقليدية (Iconoclaste) ؟

« ان الاشخاص الذين شيدوا الصروح - هذه الصروح التي يسعى الى تهديمها - مهاجموا المعتقدات او المؤسسات التقليدية - من النادر لهم الانتقال الى الخلود. فمن يعرف اسم النحات الذي صنع صورة الرئيس السابق ماركوس في الفيلين؟ لا احد يذكر. اذن فان الذين كانوا، في الوقت المناسب وبدون انتظار نهاية النظام، «مهاجمي المعتقدات او المؤسسات التقليدية» بحيث نددوا بالاعمال الحقيرة والجرائم وعدم القدرة واغتيالات وسرقات الرئيس ماركوس، هؤلاء حتى وان لم يسجلهم التاريخ فانهم على الاقل يكونون قد ساهموا في صناعة التاريخ. لنكن اذن من مهاجمي المعتقدات او المؤسسات التقليدية ».

على ضوء كل ما تقدم يتبين لنا كيف ان كلود جوليان استطاع، بفضل عمله الاعلامي الدؤوب ان يفرض نفسه في عالم ليس فقط على مستوى الصحافة الغربية بل على مستوى الصحافة العالمية.